القصص والسير

١ مقدمة عن باب القصص والسِير

هذا الباب استعمله الله سبحانه وتعالى في تربية النبي ﷺ، كما استعمله النبي ﷺ في تربية الصحابة.

• فنجد أن القرآن مليء بالقصص، وهذه القصص كانت تستهدف النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم.

• لدينا فهمٌ خاطئ لأمر القصص؛ فنظن أنها موجهة للأطفال، بينما كانت في الأصل لجيلٍ عظيم، وهو جيل الصحابة. فالقصص عميق، وإذا تأملنا فيه وجدنا أنه كان يُقال لأبي بكر، وعمر بن الخطاب، وعليّ رضي الله عنهم، وسائر الصحابة الكرام. فالقصص يُتربّى به الكبار، لا الأطفال.

• وكان الصحابة يحبون القصص، وكانت سورة يوسف سبب نزولها طلبًا منهم.

• ولذلك فالقصص القرآني من أقوى الوسائل التربوية.

أها السِّيَر، فلها تأثير عجيب على النفس إذا عُرضت عرضًا تربويًا، وليس فقط كقصص تُروى، فالسيرة حين تُدرّس بهذا المنهج تُحدث تغييرًا حقيقيًا في حياة الإنسان.

٢ لماذا القصص

1- لأن القصص يقدّم المعنى بصورة عملية واقعية.

• فالقصص القرآني يقدّم نموذجًا عمليًا متحققًا، حتى لا يبقى عذر في عدم التطبيق، بل يضع التصوّر الصحيح لكيفية تنزيل المعاني على الواقع، فيكون تأثيره أعمق وأقوى من مجرد التوجيه النظري.

2- القصص القرآني مختصر شديد التركيز، يركّز على المهم والمفيد فقط.

• قد تجد في القصص القرآني بعض القفزات، أو تشعر بوجود فجوات؛ لأن هذه التفاصيل لا تعود على القلب بتزكية، ولا على النفس بصلاح.

• والقصص القرآني ليس اختصارًا مُخلًّا، بل اختصارٌ واعٍ يضع لك جوهر القصة ومادتها الخام.

• ومن أعظم ما يميّزه طريقة عرضه؛ فالقرآن يركّز على الخير أكثر من تركيزه على الشر.

• قاعدة مهمة: النفس تتأثر بما يُعرَض عليها أكثر.

3- القصص القرآني يركّز على العبر والعظات.

• فكل قصة تحمل قواعدًا للحياة، وتربيةً للنفس، وإصلاحًا للقلب، لا مجرد سردٍ للأحداث.

4- القصص يقدّم لنا منهجًا نبويًا في التربية.

• فقد كان النبي ﷺ يستخدم القصة في تربية الصحابة دون إطالة شرح، اعتمادًا على فطنتهم وسرعة فهمهم.

• وقد استعمل النبي ﷺ والصحابة هذا الأسلوب، كما استعمله الله سبحانه وتعالى ابتداءً في تربية نبيه ﷺ.

5- القصص يكشف سنن الحياة، خاصةً ما يهم الدعاة والمصلحين وكل ملتزم.

• فيعلّمك أن الأذى والابتلاء وسوء الظن والتكذيب سننٌ ماضية، فيثبّتك على الطريق ولا يزعزعك.

6- القصص يركّز على أخطر القضايا: قضايا التوحيد، وقضايا أعمال القلوب.

• فهو يربط القلب بالله وأسمائه وصفاته، ويعلّق النفس بالدار الآخرة.

• ويغرس أهمية الدعاء؛ إذ إن دعوات الأنبياء مبثوثة في ثنايا القصص القرآني.

٣ أمثلة على كيفية التعامل مع القصص والسِير

قصة آل يس:

• تركز على شرف الدعوة وشرف الدعاة إلى الله تعالى، ونتعلم منها الهمة الدعوية العالية؛ فهو يريد أن يدعو إلى الله حتى بعد الموت.

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧]، فتأخذ من كلمة "المكرمين" تعريفًا جديدًا للكريم: هو الذي يطيع الله، وتأخذ أيضًا تعريفًا جديدًا للفوز والخسران: من مات في سبيل الله فهو الذي فاز، ومن عاش وهو على الباطل فهو الذي خسر.

قصة أصحاب السبت:

• نقف فيها على معانٍ مهمة جدًا، منها خطورة السلبية، أي عدم الدعوة إلى الله، وعدم تغيير المنكر، وعدم إنكار المنكر، وأحيانًا الاحتيال على أمر الله.

• أصبح هناك: من فعل المنكر، ومن أنكر المنكر، ومن سكت ولم يسكت فقط بل حاول إحباط الآخرين.

• الذين نجوا هم الذين أنكروا المنكر، والذين هلكوا هم الذين فعلوا المنكر، والفئة الثالثة لم يُذكر حالها، لتَبقَى النهاية مفتوحة لتخوفك من السلبية.

تعلمنا من القصة خطورة التبرير والاحتيال على شرع الله.

قصة سيدنا موسى وسيدنا الخضر:

• توضح أن أحداث الحياة ليست كما تبدو في الظاهر؛ فقد يكون وراء الخير شر، ووراء الشر خير، والله أعلم بالعواقب.

• كسر الخضر للسفينة كان سبب نجاتها، والغلام الذي قُتل ظهر أن الأمر فيه خير، فنصبر على الأقدار ونتوكل على الله.

هذه القصة تربطنا باسم الله العليم والحكيم، وتملأ القلب تعظيمًا لله وثقةً بعلمه بالغيب.

قصة السحابة (حديث في أثر الصدقة):

• رجل سمع صوتًا في سحابة: "اسقِ حديقة فلان"، وتبعه حتى أمطرت الحديقة المعينة، فالتقى بصاحبها الذي اتفق على التصدق بثلث المحصول، فكان جزاء صدقته أن أكرمه الله وجعل السحابة تأتي أرضه.

كيف نستفيد من القصص: نمسك القصة، ونحلّل أحداثها بعمق لاستخراج عشرات الفوائد العملية من كلام النبي ﷺ.

الانتقال للسيرة النبوية ولماذا السيرة:

• السيرة تعطينا رؤية تامة لطبيعة الطريق وأفعال وأقوال النبي ﷺ وتطبيقاته العملية.

• تعلمنا كيف كان النبي ﷺ يربي الصحابة بالقصة، وبالقدوة، وبالمثال، والربط بالله.

أمثلة تربوية:

• بناء المسجد النبوي: النبي ﷺ شارك الصحابة في البناء، فتعلمنا القدوة العملية.

• غزوة الخندق: النبي ﷺ حفر مع الصحابة وكان جسمه كله تراب وقال: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة".

• تربية خباب بن الأرت: النبي ﷺ قص عليه صبر الآخرين على الإيذاء في سبيل الله.

• السيرة تعلمنا القرآن، وتوضح أسباب النزول، وتربطنا بأعمال القلوب، وتجدد الأمل، وتواسي في وحشة الطريق، وتعرفنا على هدي النبي ﷺ في سننه، طعامه، شرابه، نومه، وتعامله مع المشاكل.

التزكية بالقصص والسير

١ كيف تزكي نفسك بالسيرة

كيف نمسك موقفًا ونحلله ونستخرج منه تربيةً وأدبًا وتزكيةً؟

المثال الأول - موقف خديجة رضي الله عنها مع النبي ﷺ:

عندما كان النبي ﷺ راجعًا من الغار وقال: "زَمِّلوني زَمِّلوني، لقد خِفتُ على نفسي"، طمأنته قائلة: "والله لا يُخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتكرم الضيف، وتعين على نوائب الحق."

نحلّل هذا الموقف كثيرًا ونتعلم منه:

- فضل الزوجة الصالحة وحسن اختيار الزوجة.
- فضل العمل الصالح وتأثيره طويل الأمد في حياتنا.

قاعدة مستفادة: "لا يخزيك الله أبدًا" مرتبطة بأخلاقنا وأعمالنا.

- ومن هذا الموقف، تضع لنا السيدة خديجة قاعدة عظيمة تربط بين صلة الرحم وإكرام الضيف، وهي أن الله عز وجل لا يمكن أن يخزيك أبدًا. وأيضًا العكس مخيف؛ فهذا الموقف يجعلك تراجع كل تصرفاتك وتعرف أن كل شيء محسوب.

المثال الثاني - موقف الحباب بن المنذر يوم بدر:

عندما رأى المكان ولم يعجبه، وكان يرى أنه يوجد مكان أفضل، فقال للنبي ﷺ: "يا رسول الله، أهذا المنزل أنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والمشورة؟" فأجابه النبي ﷺ: "بل هو الرأي والحرب والمشورة."، فأشار الحباب على مكان آخر وانتقلوا إليه.

نتعلم قاعدة مهمة: الوحي لا يُقدَّم عليه العقل، حتى لو عقلك ليس مقتنعًا الآن، فالمشكلة في عقلك أنت، وليس في الحكم. ولكن عندما يكون الأمر رأيًا واستشارة، يجوز طرح الرأي. وهذا يعلمنا الأدب مع الله قبل الكلام ويؤكد أهمية الانضباط في الطاعة.

المثال الثالث - المرأة التي كانت في يوم أُحد:

مات أبوها وأخوها وزوجها، ونتعلم منها محبة النبي ﷺ وهي تسأل عنه وتقول: "يا رسول الله، كل مصيبة بعدك جلل."

- نتعلم من هذا الحب للنبي ﷺ.
- تقديم أمر النبي ﷺ على أمورنا الشخصية.
- الاهتمام بسيرته واتباع سننه في حياتنا.

المثال الرابع - موقف خبيب بن عدي رضي الله عنه في الأسر:

عندما أسروه وكانوا يريدون قتله، قالوا له: "أتود لو أنك في بيتك آمنًا معافى، وأن محمدًا مكانك؟" أجاب: "لا والله، ما أحب أن أكون في بيتي معافى، وأن رسول الله ﷺ يُشاك بشوكة."

- فنخرج من هذا الموقف بحب زائد للنبي ﷺ، وصبر وجَلَد وقوة على مواجهة الباطل، والصبر على الاضطهاد، وقدوة عظيمة في الجلد والثبات، وصدق حقيقي في محبة النبي ﷺ.

٢ كشف حساب نهاية الدورة الخلاصة

هدف الدورة: إيصال المتدرّب إلى امتلاك مصادر التزكية ومعرفة بداية الطريق الصحيحة، مع المتابعة حتى يصل لمرحلة يستطيع فيها الاستمرار بنفسه بتوفيق الله.

مصادر التزكية الأساسية: القرآن - السنة - الأسماء الحسنى - أعمال القلوب - الدار الآخرة - الأذكار والأدعية - القصص والسِّيَر.

محور الدورة الأهم: المحاضرة الثانية (تأسيس الأوراد والانتظام عليها مع الزيادة المستمرة)، فهي أساس النمو الحقيقي والاستمرار.

طريق القرآن: الانتظام حاليًا على ٢٠ صفحة يوميًا، ونصفها في قيام الليل أو الضحى، مع التدبر، واستخراج العمل، والتغيير العملي في النفس.

مبدأ الزيادة: الأوراد لا تثبت على حال، بل تزيد مع الوقت، حتى يكون العبد مستعدًا لمواسم الطاعة ويُحسن اغتنامها.

التدبر والتفسير:

- البداية بـ المختصر في التفسير.
- التوسّع بـ أيسر التفاسير وتفسير السعدي.
- مرحلة أعمق بـ المصباح المنير.
- الاستعانة بدورات التدبر (علاء حامد).

السنة النبوية:

- قراءة يومية من رياض الصالحين.
- الرجوع لشرح ابن عثيمين عند الإشكال.
- التدرّج إلى صحيح الترغيب والترهيب ثم كتب السنة الكبرى.

الأسماء الحسنى:

- برنامج باسمك نحيا.
- كتب: لأنك الله، أنيس المحبين، هنيئًا لمن عرف ربه.

أعمال القلوب:

- سلسلة قلبك أبيض. • فن التعامل مع النفس. • الداء والدواء.

الدار الآخرة:

- برنامج المصير.
- كتب: التوهم، الجنة والنار، رحلة إلى الدار الآخرة، أحداث النهاية.

الأذكار والأدعية:

- برنامج جوامع الدعاء.
- حفظ أذكار من حصن المسلم أو مختصر النصيحة.

القصص والسِّيَر:

- علمني رسول الله. • قصص القرآن.
- السيرة النبوية، قصص الصحابة، أمهات المؤمنين.

خلاصة الطريق:

- لا قيمة لكل ما سبق دون الالتزام بالأوراد.
- تصحيح النية، الزيادة المستمرة، والافتقار الدائم إلى الله.
- الحذر من الاعتماد على النفس.

القاعدة الكبرى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدًا﴾.

الرسالة الأخيرة: ابنِ قصتك في التزكية، واطلب من الله دائمًا التثبيت والهداية.

٣ الواجب العملي

الواجب الفعلي:

- قراءة ٢٠ صفحة من القرآن مع التدبر والتفسير، والصلاة بعشر صفحات منهم في صلاة الليل.
- ورد الدعاء للوالدين، والأهل، والصحبة، وأهل العلم.
- قراءة ٥ صفحات من كتاب رياض الصالحين مع التدبر والفوائد العملية.
- تكملة أوراد المحاضرات السابقة من سماع البرامج وقراءة الكتب.
- سماع سلاسل القصص والسِّيَر التي تم ذكرها.

الواجب التركي:

- المعصية التي تتركها، تتركها إلى النهاية وكل فترة تترك معصية جديدة.